القراءة النشطة على الشاشة: أدوات لفهم النصوص وربط الأفكار

لويس فرناندو غارثيا ماركو؛ فرانثيسكو خافيير غارثيا ماركو



الملخص:

يناقش المقال القراءة النشطة على الشاشة وما تحتاجه من مهارات وأدوات لإدارة المعلومات وفهمها وربط أفكارها. ويعرض أنواع القراءة وعلاقة السرعة بالفهم، ثم يحدد أربع عمليات أساسية: التعليق، واستخراج المحتوى، والتصفح، والتصميم البصري للوثائق والمقارنات. ويستخدم (LiquidText) مثالًا لاستعارات تتجاوز الورق، عبر طي النصوص وسحب المقتطفات وتجميعها وربط الملاحظات بمصادرها. كما يناقش قيمة هذه العمليات في التلخيص والتوليف والتعلم وتدريب القارئ على الانتقاء والتنظيم الهرمي. ويربط ذلك بمطلب البساطة التي تتيح التعامل مع تعقيد المعلومات دون إخفاء معناها. وتبقى نسب القراءة وخصائص التطبيق وأحكامه ضمن سياق المصدر، بينما يركز العرض على تكييف الأدوات مع غرض القارئ والمهام المعرفية بدل نقل الصفحة الورقية إلى الشاشة فحسب.

الكلمات المفتاحية: القراءة النشطة، القراءة الرقمية، (LiquidText)، الفهم القرائي، تصميم التفاعل

1. القراءة: أنواع واستراتيجيات:

القراءة أحد السبل الأساسية للوصول إلى المعرفة، لكنها ظاهرة معقدة تتكيف مع أهداف ومواقف وتقنيات مختلفة. وهي عمليًا مجموعة مهارات نستخدمها بطرق مختلفة بحسب السياق والقصد: قراءة صامتة، وجهرية، وسطحية، وانتقائية، واستيعابية، وتأملية، وناقدة، وترفيهية، وغيرها.

وتصنف القراءة الصامتة بحسب السرعة والهدف إلى (White, 1983; Cassany; Luna; Sanz, 1994, p. 198): موسعة للمتعة أو الاهتمام؛ ومكثفة لفهم النص بعمق وتقييمه؛ وسريعة سطحية لاستخراج معلومة محددة أو التمهيد للقراءة المكثفة؛ وغير إرادية، كالأخبار والإعلانات.

القراءة عمل يتطلب جهدًا ويستهلك موارد، مثل الطاقة المعرفية والوقت. ولذلك ترتبط فاعليتها بمتغيرين أساسيين: سرعة القراءة وفهم النص.

ورغم إمكان تحسينهما، فإن كلًا منهما يقيد الآخر بحسب صعوبة المادة. وتصنف سرعات القراءة الفعالة وفق السرعة والفهم إلى مجموعتين (Bisquerra-Alzina, 1983): قراءة شاملة تسعى لفهم أكبر على حساب السرعة، وتنقسم إلى تأملية ومتوسطة؛ وقراءة انتقائية تقدم السرعة على الفهم، وتنقسم إلى تمعن بحثًا عن معلومة محددة أو إلقاء نظرة سريعة.

في القراءة الشاملة، تكون التأملية أبطأ لطلب فهم دقيق، وترتبط غالبًا بالعمل والدراسة، وتقل سرعتها عن 250 كلمة في الدقيقة وتبلغ نسبة الفهم 80% بحسب العرض الوارد في الأصل. أما المتوسطة فهي الأكثر شيوعًا، بسرعة 250 كلمة في الدقيقة وفهم يقارب 50-70%، وترتبط عادة بوقت الفراغ.

وتقتصر القراءة الانتقائية على أجزاء النص التي تحمل معلومات تهم القارئ، باستخدام استراتيجيتين:

الأولى (skim)، أي إلقاء نظرة سريعة إلى الصفحة وشكلها وتصميمها والعناوين والعناصر البارزة كالعريض والمائل والأحرف الكبيرة؛ وهي غير خطية وسريعة وتهدف إلى تكوين فكرة عامة. والثانية (scan)، ويصفها المؤلفان هنا بالقراءة المتمعنة، خطية وبطيئة تستهدف معلومة بعينها وتستخدم لإيجاد التفاصيل.

2. تحدي تحسين أنماط القراءة في السياق الرقمي:

تتزايد القراءة على الشاشات، مثل الأجهزة اللوحية والحواسيب وقارئات الكتب الإلكترونية، وتبلغ 78% وفق (Conecta Research & Consulting) (2010)، مع تنوع المعلومات الرقمية المتداولة. وترتبط عادة باستراتيجية (skim) (Vázquez, 2010)، وهي أكثر تجزؤًا واهتمامًا بالأفكار العامة من التفاصيل أو إتمام النص. كما ترتبط القراءة على الشاشة بمزيد من تشتت الانتباه، ويُناقش هل يفضل الدماغ الورق عليها (Eco; Carrière, 2010; Quijada, 2014). وتحسن تطورات العتاد والبرمجيات التجربة تدريجيًا: الحبر الإلكتروني، وإضاءة الشاشة الخلفية، وإثراء التعليق على النص، والتصفح باللمس. لكن انتقال الكتاب الإلكتروني من مجالات الترفيه ومتابعة المستجدات إلى التعليم والدراسة والعمل المهني والتقني والإداري يتطلب تقنيات تدعم هذه الأنماط. ويبرز مجالان للتفكير والبحث: تحسين القراءة النشطة، مقابل السلبية، بما تحتاجه من إبراز وتعليق وتدوين وبحث ومقارنة صفحات؛ وتحسين تجربة الشاشة المكملة للورق.

تستدعي كثافة المعلومات أدوات أفضل للفهم والتنظيم والربط بين الأفكار ومقارنة النصوص وتثبيت الأهم وفهم المعنى العام أو التفصيلي. كما تحتاج إلى استعارات بصرية ونماذج تفاعل وإيماءات لمس جديدة تتجاوز التسطير والإبراز والتعليق الورقي. وترتبط القراءة النشطة بالعمل المعرفي في السياقين المهني والأكاديمي؛ وقد دُرس نشاطان متكرران لتحسينها: القراءة للإجابة عن أسئلة والقراءة لدمج معلومات (O'Hara, 1996; O'Hara; Sellen, 1997; O'Hara et al., 1998; O'Hara et al., 2002)، ويُقدر أنهما يشغلان 25% من وقت قراءة العاملين بالمعرفة. وتقتضي التجربة أربع عمليات: التعليق بالإبراز والتسطير مع وسائل فعالة لاسترجاع المعلومات؛ واستخراج المحتوى بنسخ الأصل إلى مساحة ثانوية كالملاحظات يمكن تنظيمها ووسمها ومراجعتها واستخراجها؛ والتصفح بالتنقل والبحث وتحريك الصفحات ووضع معالم وإشارات شخصية؛ والتصميم بتنظيم الوثائق بصريًا وتيسير الإحالات والمقارنة على جانبي الشاشة والنظرة العامة وعرض أجزاء بالتوازي مع الحفاظ على الأصل وتسلسله.

3. (LiquidText): البحث عن نماذج واستعارات جديدة للتفاعل مع النص الرقمي:

يفتح تطبيق (LiquidText)، الذي نشأ من أعمال (Craig S. Tashman) والأستاذ (W. Keith Edwards) في (Georgia Tech)، آفاقًا لتحسين القراءة النشطة على شاشات اللمس، ومحاولة منحها مزايا استراتيجية على الورق. ويستهدف مرونة المادة والمقارنة والتوليف المتوازي على الشاشة وتجاوز خطية الكتاب بوظائف النص الفائق. ويستكشف تمثيلات لا يتيحها الورق، الذي يمتاز بثباته لكنه أقل مرونة: تنويع عرض المحتوى، والتحكم فيما يظهر وموضعه، وإنشاء تعليقات وبنى معقدة في الهامش، والتصفح، وإيماءات اللمس المتعدد على اللوح للتفاعل مع النص، وتمثيلات أكثر مرونة للوثيقة.

سعى المصممون إلى تجاوز استعارات الورق التقليدية في برمجيات القراءة. وانطلاقًا من قابلية التشكيل اختاروا الماء استعارة للسيولة والمرونة والتفاعل الديناميكي، بدمج قطرات النص وفصلها وانتقائها وتوزيعها كما يشاء المستخدم. ويعرض مجال العمل الواسع الوثيقة الأصلية يسارًا ومساحة فارغة كبيرة يمينًا. ويمكن طي أجزاء من الأصل للتركيز على المطلوب، وسحب المحتوى المحدد إلى اليمين في شكل قطرة وثائقية قابلة للاندماج بغيرها. ويظل موضعه في الأصل مظللًا لبيان النسخ. ويمكن جمع الأجزاء كقطرات الماء لتكوين وثائق أو إعادة ترتيبها وتحريكها مع الاحتفاظ بروابطها بالأصل. ومن الإمكانات أيضًا إضافة التعليقات، وكتابة ملاحظات تتصل بجزء أو أكثر من وثيقة أو وثائق متعددة، وطي الأصل أو تكبيره بقرص الأصابع لاختيار الأجزاء المطلوبة.

وإبراز النص ووسمه بألوان مرتبطة بقطرات النص المنتقاة؛ وتحريك العرض وتكبيره وتصغيره؛ وتكبير مقاطع محددة بعدسة على الشاشة.

تتيح مساحة التعليقات والمقتطفات طرقًا متعددة لعرض المعلومات والتفاعل معها، فتغدو أداة قوية للتوليف والتلخيص باستخراج المحتوى ووسمه بصريًا بحسب أهمية الأفكار للمستخدم (Pinto, 2005). ويمكن دائمًا اللعب بالعلاقة بين السياق والمقتطف، ودمج المقتطفات في مجموعات أفكار مهمة. وهذا يدرب مهارات القارئ الخبير المعرفية وما وراء المعرفية: الفهم، والتخطيط، وانتقاء الأفكار الرئيسة والثانوية، وتجزئة النص واختزاله، وتحديد موضوعه وبلاغته، وترتيب المعلومات هرميًا، وصنع الخرائط المفاهيمية.

4. تحدي القراءة الرقمية في التعليم والتعلم: من القارئ المتدرب إلى الخبير:

إلى جانب الاستخدام المهني، يقدم (LiquidText) نفسه أداة فعالة لتدريب الفهم القرائي في مختلف المراحل الدراسية. يلخص القارئ الخبير النص هرميًا ويولف المعلومات المهمة ويفهم كيف قيّمها مرسلها، أي أهميتها النصية. وهذه الاستراتيجيات حاسمة في التكوين الأكاديمي، وتساعد المتعلمين على التخلص سريعًا من عادات مثل الخطية، والعمى الانتقائي عن المعلومات القيمة، والضياع في التفاصيل السطحية. والجمع بين (skim) والاستفادة من (scan) مهارة متزايدة الضرورة في مجتمع يجمع وفرة المعلومات وضيق وقت إدارتها. ويلخص (Emilio Sánchez-Miguel) (2002) صعوبات الفهم؛ فالفهم قد يحمّل الذاكرة العاملة فوق طاقتها، وهو عملية تفاعلية تتطلب أتمتة العمليات القرائية الأولية، وتتحسن في سياقات التعاون.

ويجسد (LiquidText) جيلًا جديدًا من التطبيقات التي تدرب على التعامل مع النصوص لتجاوز هذه الصعوبات بفائدة أكبر، بفضل أدواته وإمكاناته وكثرة العمليات المعرفية وما وراء المعرفية التي يتيحها.

5. مشاهد جديدة للتصميم: البساطة في مواجهة التعقيد:

يقود التطبيق إلى تأمل أخير في سمة متصاعدة في التصميم المعاصر: البساطة. ففي كتاب قوانين البساطة يناقش (John Maeda) (2006)، أحد أبرز متخصصي التصميم والتقنية، مفارقة رغبتنا في شيء بسيط سهل الاستخدام يؤدي أعمالًا معقدة. وصُمم (LiquidText) وفق سهولة الاستخدام وتبسيط تعقيد المعلومات. وتتلخص قوانين (Maeda) في قاعدة عليا: «احذف البديهي وأضف الخاص»، وهي من سمات التطبيق عند التعامل مع النصوص المعقدة. وتستدعي الأحجام المتزايدة للمعلومات النصية جيلًا جديدًا من الأدوات يعيننا على التعامل مع بيئة قراءة ومتطلبات أشد تعقيدًا وكثافة. وتحتاج الأدوات بدورها إلى نماذج واستعارات تعين المستخدم الذي يشعر بتزايد العجز أمام سيل المعلومات. علينا تيسير الصعب واختزال المعقد ببساطة ذكية.

المراجع:

- Bisquerra-Alzina, Rafael (1983). Prácticas de eficiencia lectora. Barcelona: PPU, 1983. ISBN: 84 86130 25 5
- Cassany, Daniel; Luna, Marta; Sanz, Glòria (1994). Enseñar lengua. Barcelona: Grao. ISBN: 84 7827 100 7 http://goo.gl/devWht
- Conecta Research & Consulting (2010). Informe de hábitos de lectura y compra de libros en 2009. Madrid: Federación de Gremios de Editores de España. http://www.federacioneditores.org/0_Resources/Documentos/NP_Lectura_feb2009.pdf
- Eco, Umberto; Carrière, Jean-Claude (2010). Nadie acabará con los libros. Barcelona: Lumen. ISBN: 978 8426417671
- Maeda, John (2006). La leyes de la simplicidad. Barcelona: Gedisa. ISBN: 978 8497841597
- O'Hara, Kenton (1996). Towards a typology of reading goals. RXRC Affordances of paper project. Cambridge, UK: Rank Xerox Research Center. http://www.xrce.xerox.com/content/download/6681/51479/file/EPC-1996-107.pdf
- O'Hara, Kenton; Sellen, Abigail (1997). "A comparison of reading paper and on-line documents". CHI 97, Proceedings of the SIGCHI Conference on human factors in computing systems. ACM Press, pp. 335-342. http://www.sigchi.org/chi97/proceedings/paper/koh.htm http://dx.doi.org/10.1145/258549.258787
- O'Hara, Kenton; Smith, Fiona; Newman, William; Sellen, Abigail (1998). "Student readers' use of library documents: implications for library technologies". En: CHI 98, Proceedings of the SIGCHI Conference on Human Factors in Computing Systems. ACM Press, pp. 233240. http://dx.doi.org/10.1145/274644.274678
- O'Hara, Kenton; Taylor, Alex; Newman, William; Sellen, Abigail (2002). "Understanding the materiality of writing from multiple sources". International journal of human computer studies, v. 56, n. 3, pp. 269305. http://research.microsoft.com/en-us/um/people/asellen/ publications/materiality%2002.pdf http://dx.doi.org/10.1006/ijhc.2001.0525
- Pinto, María (2005). Aprendiendo a resumir: prontuario y resolución de casos. Gijón: Trea. ISBN: 978 8497041966

• Quijada, Pilar (2014). "Al cerebro le cuesta menos leer en papel". ABC, 26 de diciembre. http://www.abc.es/ciencia/20141226/abci-cerebrolectura-papel-201412231555.html

• Sánchez-Miguel, Emilio (2002). Las dificultades en la comprensión lectora y la expresión de textos escritos, UOC.

• Vázquez, José-Antonio (2010). "Nuevos hábitos de lectura: lectura en pantalla". Dosdoce.com, 8 de junio. http://www.dosdoce.com/2010/06/08/nuevos-habitosde-lectura-lectura-en-pantallas

• White, R. V. (1983). "Approaches to the teaching of reading. Teaching language as communication". Primeres jornades pedagògiques de l'anglès, ICE i UAB, Barcelona, pp. 42-53.